السلالم الحجاجيّة في كلام الإمام الحسن (عليه السلام)

أ.د. مزاحم مطر حسين الباحثة. مروة حسام كاظم

كلية التربية/ جامعة القادسية

Gradual argumentative in al imam al Hassan speeches.

Prof. Dr. Mzahm Mutar Hussain
Researcher. Marwa Husam Kazum
College of Education\ University of al-Qadisya
F12378901237qw9@gmail.com

Abstract:

Abstract: The study of the phenomenon of peaceful hierarchy in the words of Imam Hassan (peace be upon him), which formed part of the language of pilgrims, was (peace be upon him) often builds his arguments in accordance with a certain hierarchy takes the argument its way of persuasion, either up or down or cumulative, The most important indicators that highlight the possibility of the Arabic language, in its various methods and mechanisms, which make a difference between them in terms of strength and weakness, the speaker can build his arguments and achieve his desired goal in persuading through these stairs.

Key words: argumentative, gradual, repetiction, descriptive, negation

الملخص:

رصد البحث ظاهرة التراتبية السلميّة في كلام الإمام الحسن (عليه السلام) التي شكلت جزءاً من لغته الحجاجية، فكان (عليه السلام) كثيراً ما يبني حججه على وفق تراتبية معينة تأخذ فيها الحجة طريقها الإقناعي، إما صعوداً وإما نزولاً وإما تراكمياً، بحسب نوع المخاطب والموضوع المحتج فيه، فالسلالم الحجاجية من أكثر المؤشرات التي تبرز إمكانية اللغة العربية، بأساليبها وآلياتها المتنوعة التي تُشكّل تفاوتاً فيما بينها من حيث القوة والضعف، يتمكن المتكلم منها من بناء حججه وصولاً إلى تحقيق غايته المرجوة في الإقناع عبر هذه السلالم.

كلمات مفتاحية: الإمام الحسن، الحجاج، السلالم الحجاجيّة، التكرار، الوصف، النفي.

المقدمة:

يعتبر التدرج في الكلام من أكثر ما يميّز الخطاب الحجاجي، ويجعل الحجج المقدمة بهذه الشاكلة محقِقة مداها الأبعد في الإقبال نحو المطلوب، من هذا المنطلق جاء البحث راسماً الأبعاد الإقناعية التي صنعها السلم الحجاجي في كلام الإمام الحسن (عليه السلام)، متكونا من توطئة للتعريف بماهية السلالم الحجاجية ودورها الإقناعي، ثم التفصيل بأنواعها الثلاثة (التصاعدية، التنازلية، التراكمية) وكيفيّة بناء الحجج وورودها فيها، التي مثلتها الشواهد القائمة على كلام الإمام الحسن (عليه السلام)، ثم ختم البحث بخاتمة سجّلت أبرز النتائج التي نتجت عنه.

توطئة:

ما يبتغيه المتكلم من خطابة هو جعل الطرف الآخر آخذًا بما أملاه عليه من حجّج تُحقق له النتيجة التي يرمي إليها؛ لذلك يسعى إلى ترتيب حججه بصورة تدرجيَة إمَا صعودًا وإمّا نزولاً وأحيانًا تراكمًا بحسب السياق الذي يفرضة المقام، فبسبب اختلاف وجهات النظر لدى المتكلمين يختلف بناء السلالم الحجاجيَة فقد يبدأ المتكلم بالحجج القوية أولا نزولًا إلى الأضعف أو العكس؛ لأن ترتيب الحجج في السلم الحجاجي والمفاضلة بينهما في القوة يعود الى رؤية المتكلم فقد تنزل الحجة الواحدة الى أسفل السلم تبعًا لوجهة نظر معينة في حين ترتقي إلى أعلاه وفقًا لوجهة نظرٍ أخرى[1]، حيث يمكن ترتيب هذه الحجج بالنظر الى طبيعتها بشكل يعلو بعضها

(1) ينظر: البنية الحجاجية للحوار في رواية دموع الأمير لنجيب الكيلاني: 246، واستراتيجيات الخطاب:512

على البعض الآخر أو العكس حينما تستدعي نتيجة معينة وهذا نابع من قوتها التي تتفاوت من حيث التبليغ والتأثي[1].

أي أن لا معيار ثابت في تسلسل الحجج في السلم، وإنّما يتبع ذلك السياق والحدث الذي قيلت فيه إضافة لرؤية المتكلم لطبيعة المتلقي الموجَه إليه الخطاب وكيفيّة بناء الحجج وفقًا لذلك.

وقد عدَ أحد الباحثين أنّ هذا التدرج في السلم تدرّجا منطقيّا يُسهم في نفي الخضوع لمنطق الصدق والكذب[2]، في حين أكد أبو بكر العزاوي أن أبرز سمات الحجج اللغوية هي أنها نسبية وقابلة للإبطال، فالحجاج اللغوي ليس كالمنطق الرياضي والبرهان الذي تكون نتائجه حتمية مطلقة بل هو حجاج تدرجي يحكمه السياق[3]، وفي هذا التدرج تكمن أهميته التي (يقوى عبرها الخبر أو يخرج بمقتضاها القول من مقام الخبر إلى مقام الحجة)[4] فهذه التدرجيَة في الخطاب (غالبا ما تظهر في مواقف المرسل واتجاهاته عبر الملفوظات النصيَة، فبالنتيجة ترتب هذه الحجج بناءً على تنظيم الأقوال التي سبقت النتيجة)[5] وكل ذلك قابل للرد وخاضع للصدق أو الكذب وليس فيه حتمية مطلقة.

وبما أن التدرّج في بناء الأقوال سمة امتازت بها ظواهر عدة واللغة منها على وجه الخصوص التي عرفت أنظمتها التداولية والدلاليَة بكونها ذات تراتبيّة سلميّة[6]، لذلك (على المتكلم أن يرتب حججه على وفق سلم حجاجي إذ يضع كل حجة في موضعها المناسب ولكي تكون الحجج أكثر فاعلية ينبغي أن تصاغ صياغة لغوية مناسبة)[7] وبصورة تسلسلية موجّهة (بواسطة الروابط التي تقوي الملفوظ ليأخذ درجة من السلم)[8] بهدف تحقيق الإقناع الذي (يمثل لبّ العملية الحجاجيَة)[9]، ويتخذ ذلك التسلسل الصور الآتية:

- سلّم الحجج التصاعديّة:

على وفق هذا النوع من السلالم الحجاجيَة، فإن المتكلم يبدأ بإيراد حججه تصاعديًا أي من الحجة الضعيفة فالقوية ثم الحجة الأقوى، بمعنى أن الحجج في هذا النمط من السلالم يمكن تصنيفها بأنها نوع من مؤكدات الخطاب لأن الغاية وراء استعمال هذا النوع من الحجاج هو السعي الى ترسيخ دلالة هذه الحجج في ذهن المخاطب[10]، وبما أن الحجاج ينطلق من أسفل السلم فـ (غالبًا ما تكون الحجة الأولى المطروحة في الخطاب مهيّأة للمتلقي ومحفزة لذهنه على التواصل والمتابعة لما سيأتي بصورة تصاعديّة على وفق قوتها لاستمالة المتلقي وإذعانه)[11]، وهذا مالوحظ في بعض كلام الإمام الحسن (عليه السلام) الهادف إلى تسليم المتلقي بهذه الحجج والأخذ بها، ومن ذلك خطبته موبخًا الناس بعد حادثة طعنه في ساباط عندما أرسل إليه قيس بن سعد كتابًا يخبره فيه أن بعض أصحابه توجهوا إلى معاوية حتى خفَ عسكره:

((خالفتم أبي حتى حُكّم وهو كاره، ثم دعاكم إلى قتال أهل الشام بعد التحكيم فأبيتم حتى صار إلى كرامة الله ثم بايعتموني على أن تُسالموا من سالمني وتحاربوا من حاربني وقد أتاني أن أهل الشرف منكم قد أتوا معاوية وبايعوه فحسبي منكم لا تغرّوني في ديني ونفسي))[12]

فبدأ الامام يطرح حججه عليهم الواحدة تلو الأخرى تصاعدياً مستعينًا ببعض الروابط التي توجه تلك الحجج من قبيل (حتى وثم والواو) مذكرًا إياهم بمخالفتهم لأبيه حتى اضطر للتحكيم وصولًا إلى خلافته التي إنتهت بالصلح وكأنه يماثل بين الحالتين، كل ذلك

(1) ينظر: الطرائق الحجاجية النحوية في الخطابة السياسية، مجلة كلية التربية للعلوم الانسانية: 17.
(2) ينظر: البنية الحجاجية في قصة سيدنا موسى (عليه السلام):47.
(3) ينظر: الحجاج والمعنى الحجاجي، بحث ضمن كتاب التحاجج:58.
(4) في حجاج النص الشعري: 24
(5) أسلوبية الحجاج التداولي: 118
(6) ينظر: العوامل الحجاجيَة:122
(7) الحجاج في كلام الإمام الحسين (عليه السلام): 43.
(8) السلالم الحجاجية في القصص القرآني، مقاربة تداوليَة: 116.
(9) الحجاج في كلام الإمام الحسن (عليه السلام): 47.
(10) ينظر: السلالم الحجاجيَة في شعر أحمد الوائلي، مجلة أوروك:83.
(11) أسلوبية الحجاج التداولي: 123.
(12) شرح نهج البلاغه: 16/ 22، الموسوعه: 125

بأسلوب تدرجي تقدم فيه الحجج بشكل متسلسل على مستوى التأريخ والأحداث، ولو وضعنا تلك الحجج في السلم تكون بالشكل الآتي:

- أتاني أن أهل الشرف منكم قد أتوا معاوية وبايعوه
- بايعتموني بشروط
- أبيتم
- دعاكم إلى قتال أهل الشام
- حكّم وهو كاره
- خالفتم أبي

حيث بدأ ب(خالفتم) وهي الحجة الواقعة في أسفل السلم التي أدَت الى (حُكِّم) بواسطة الرابط (حتى الغائية) التي تتسم الحجج الواقعة بعدها بأنها (الاقوى)[1] بدليل (وهو كاره) ثم بعد زمن يسير (دعاكم الى قتال أهل الشام فأبيتم) حيثُ رُبطت هذه الحجة بما قبلها بواسطة (ثمّ) التي دلت على التراخي والتي قادت إلى ما بعدها مباشرة (أبيتم) المسبوقة بـ (الفاء) التي خدمت الحجة بدلالتها على الترتيب مع التعقيب فكانت أقوى من الحجة التي سبقتها وهو الأمر الذي أكده أبو بكر العزاوي الذي يرى بأن الحجة التي ترد (بعد الرابط أقوى من الحجة التي قبله)[2]، ليصل الإمام (عليه السلام)بعد ذلك الى التذكير بمبايعته المشروطة بأن يسالموا من سالم ويحاربوا من حارب ليدل على أن الأمر كان على غير ذلك وصولًا الى أعلى السلم (أتاني أن أهل الشرف منكم قد أتوا معاوية وبايعوه) لتمثّل الحجة الأكبر والدليل الأقوى على نكث العهود فكانت النتيجة: **(فإني مسلمٌ هذا الامر الى معاوية)**[3]، أي الخضوع للصلح مكرهًا كحال أبيه (عليه السلام) في التحكيم.

فالنص يشير إلى أسلوب لغوي مُتقن، جاءت فيه الحجج متسلسلة بروابط لغوية خدمت الملفوظ ووجهته نحو النتيجه المبتغاة، وهي الصلح المشروط بـــ(العمل بكتاب الله وسنة نبيه وأن لا يبايع لأحد من بعده، وان يكون الامر شورى، وان يكون الناس اجمعون آمنين)[4].

ومن قبيل ذلك خطبته (عليه السلام) في الكوفة بعد أن أجمع على صلح معاوية ذاكرًا فيها فضائل أبيه أمير المؤمنين (عليه السلام) ومنزلته من الله ورسوله، تلك الفضائل التي غالبًا ما يحاجج الأمويين والكوفيين بها ليستدل على حق آل البيت (عليهم السلام) في خلافة الأمة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)[5]:

((صدق أبي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) سابقًا ووقاه بنفسه، ثمّ لم يزل رسولُ الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في كل موطن يقدمه ولكلّ شديدةٍ يُرسله ثقة منه وطمأنينة إليه، لعلمه بنصيحته لله ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأنه أقرب المقربين من الله ورسوله وقد قال الله عز وجل:(والسابقون السابقون * أولئك المقربون)[6] وكان أبي سابق السابقين إلى الله عز وجل والى رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأقرب الأقربين))[7].

(1) اللغة والحجاج: 73.
(2) اللغة والحجاج: 71.
(3)كتاب الفتوح: 4، 289. وينظر: الموسوعة:245
(4) شرح نهج البلاغة: 16 / 22.
(5) ينظر: حليَة الأبرار: 2 / 71.
(6) الواقعة: (10 _11)
(7) أمالي الطوسي: 563، بحار الأنوار:10 / 140، و: ينظر: حليَة الأبرار في أحوال محمد وآله الأبرار(عليهم السلام): 2/ 73، الموسوعة 144

حيث أنتج النص سلّما تصاعديّا رتّب بالشكل الآتي:

- أقرب الأقربين
- سابق السابقين
- لعلمه بنصيحته لله ورسوله
- وطمأنينة إليه
- ثقة منه
- لكل شديدة يرسله
- لم يزل رسول الله يقدمّه
- وقاه بنفسه
- صدَق رسول الله

حيث يصرَح الإمام الحسن (عليه السلام) في هذا النص الحجاجي بالخصال الشائعة لأبيه (عليه السلام) التي لم تكن خافية على مخاطبيه من أهل الكوفة وغيرهم، وقد جاءت بأسلوب تدرجي يبتغي منه تعريف الناس بعدم أحقية معاوية بالحكم، والذي أدى الى ذلك هو عدم سماعهم لقول الله عز وجل ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولولا ذلك لما طمع فيها معاوية وأصحابه[1].

ويبدأ الإمام (عليه السلام) بعدَ صفات أبيه منطلقًا من صدقه مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وسبقه في ذلك منتقلًا إلى الحجة الثانية بواسطة الواو التي تجمع (بين حجتين لهما نفس التوجه الحجاجي)[2] وهي (وقاه بنفسه) فالوقاية بعد الصدق لذلك تلت الواو، متدرجًا الى الحجة الثالثة عن طريق الرابط (ثم) الذي يربط بين حجتين متباعدتين ليقول (لم يزل رسول الله يقدمه) ثمّ الحجة الرابعة (ولكل شديدة يرسله (وهي معطوفة على ما قبلها، معلّلا ذلك التمسّك بـ)ثقةً منه وطمأنينة إليه، لعلمه بنصيحته لله ورسوله) فكل ما تقدم من حجج خصَ الله بها أمير المؤمنين (عليه السلام) لم تكن صدفة بل عن ثقة وطمأنينة وعلم ونصيحة ليصل بعدها الى أعلى السلم وهو(أسبق السابقين وأقرب الاقربين) مستدلّا على ذلك بآية قرآنية، وكما هو معلوم فالشاهد والشاهد القرآني على وجه الخصوص يمثل سلطة على المتلقي لأنه الدليل الأقوى على مصداقية المحاجِج، لذلك تركّز في أعلى السلم فكان الحجة الأكبر على معاوية ومن كان حاضرًا بوجوب عودة الخلافة لآل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، فمجيء الحجج متدرجة بهذا الشكل التصاعدي يعد من أكثر وسائل الحجاج اقناعًا وإرغامًا للمخاطب على المثول لصاحب الحجة، وما دلَ على ذلك قول معاوية بعد نزول الإمام الحسن (عليه السلام) من على المنبر ((**هممت أن أبطش به، ثم علمت أن الإغضاء أقرب إلى العافية**))[3] وهو الدليل القطعي على عدم وجود حجّة للخصم ليرد بها.

وفي كلام له (عليه السلام) في المدينة عند معاوية، وحين رأى معاوية أن الخلق قد احتفوا به يعظّمونه صعد المنبر وذكر عليّا (عليه السلام) فتنقصّه فاعتلى الإمام الحسن (عليه السلام) المنبر وكان مما جاء في كلامه ذاكرًا صفات رسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ومفتخرًا بذلك ليردّ كيد معاوية:

((أنا ابن من ساد قريشًا شابًا وكهلًا، أنا ابن من ساد الورى كرمًا ونبلا، أنا ابن من ساد أهل الدنيا بالجود الصادق، والفرع الباسق والفضل السابق، أنا ابن من رضاه رضا الله وسخطه سخطه، فهل لك أن تساميه يا معاوية ؟ فقال أقول لا تصديقًا لقولك))[4].

فقد سلسل الإمام (عليه السلام) خطابه مُكررًا الضمير (أنا) في بداية كل جملة، ومعلوم أن الضمير من الوسائل التي تساهم في

(1) ينظر: بحار الأنوار:10 / 142، وينظر: حلية الابرار: 2 / 77.
(2) اللغة والحجاج: 72.
(3) بحار الأنوار: 10 / 144، حلية الأبرار: 79/2.
(4) مقتل الحسين: 18، بحار الانوار: 44 / 133، شرح إحقاق الحق: 11 / 195.

تشكيل المعنى عن طريق تحقيق التماسك بين أجزاء النص[1]، فهو (يُوظَّف بوصفه عاملًا من عوامل الربط بين الأجزاء)[2] إضافة إلى أن تكراره هنا في أربع جمل أدى الى زيادة توكيد المعنى، فمجيئه بصيغة (أنا ابن + المضاف إليه) فيه إشارة واضحة لتأكيد النسبة إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؛ لذلك جاء الضمير (أنا) بصيغة المفرد للدلالة على التميَز والتفرد بالإمامة له دون غيره من أمثال معاوية وأحزابه[3]، كل ذلك بأسلوب تدرجيَ بانت فيه صفات الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) لِتمنح النص صبغة حجاجيَة تجعل معاوية وأقرانه مسلمين لقول الإمام الحسن (عليه السلام) الذي رتّب كلامه تصاعديًا على وفق الدرجات الآتية:

- سخطه سخط الله
- ابن من رضاه رضا الله
- ابن من ساد أهل الدنيا
- ابن ساد الورى
- ابن من ساد قريش

فهو يؤكد أن جده بالدرجة الأولى كان سيد قومه ثم سيد الخلق بل سيد أهل الدنيا بميزات تمتع بها دون سائر الخلق فجعلته سيدًا عليهم في شبابه وكهولته وفي كرمه ونبله وجوده وفضله إلى غير ما إنفرد به من صفات، ثم الدرجة الأعلى من ذلك فهو من يرضى الله لرضاه ويسخط لسخطه، ولم يصل أحد إلى هذه الدرجة غير النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، لذلك وضعها الإمام (عليه السلام) في أعلى السلم، سائلًا معاوية: (فهل لك ان تساميه) ؟ فكان إقرار الخصم وتسليمه واضحًا:(أقول لا تصديقًا لقولك)،فعند ذلك قال له الإمام الحسن (عليه السلام):

((الحق أبلج، والباطل لجلج، ولم يندم من ركب الحق، وقد خاب من ركب الباطل (والحق يعرفه ذوو الالباب)))[4]، مبينًا بذلك خذلان معاوية لمعرفته التامة بمكانة الحسن (عليه السلام) ومنزلته وقربه من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأن لا أحد يستطيع مجاراة آل النبي (عليهم السلام) بتلك المنزلة، لذلك (نزل معاوية وأخذ بيد الحسن وقال: لا مرحبًا بمن ساءك)[5] وهذا التسليم يمثّل الغاية القصوى التي يبتغيها المحاجِج ويحاول الوصول إليها.

كذلك يبرز السلم التصاعدي في حديث الإمام (عليه السلام) واحتجاجه على مروان في اجتماعه هو وأصحابه عند معاوية وبعد ما قال له مروان: (والله لأسبّنك وأباك وأهل بيتك سبّا تتغنى به الإماء والعبيد)[6] عندها ردّ الإمام (عليه السلام) عليه قائلًا: ((**أما أنت يا مروان فلستُ أنا سببتك ولا سببتُ أباك، ولكن الله عزَّ وجلَّ لعنك ولعن أباك، وأهل بيتك، وذريتك وما خرج من صلب أبيك إلى يوم القيامة على لسان نبيه محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)***))[7]، فكان ردّ الإمام على مروان مسكتًا، لأنه تنزّه عن سبّه وردَّ عليه بما يقابل ذلك على لسان الحقّ عزَّ وجلَّ وهو اللعن الذي يدل على الطرد من رحمة الله،هو وذريته إلى يوم يبعثون ليكونوا من الآيسين من رحمته تعالى[8] حيث بُنيت الحجج تصاعدياً بالشكل الآتي:

(1) ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكيَة: 1 / 161.
(2) البعد الترابطي في القرآن الكريم، دراسة تفسيريّة: 64.
(3)ينظر: الأبعاد التداولية في خطبة الإمام الحسن (عليه السلام) في المدينة المنورة، 40.
(28) مقتل الحسين: 185.
(29) م. ن: 185.
(6) بحار الأنوار: 44، 85، الإحتجاج: 1، 416.
(*) يُشير الإمام الحسن (عليه السلام) هنا إلى حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث دخل عليه أصحابه وهو يلعنُ الحكم بن أبي العاص، وقال لهم (كأني أنظر إلى بنيه يصعدون منبري وينزلونه)، ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة: 2، 91.
(7) بحار الأنوار: 24، 85، الإحتجاج: 1، 416.
(8) ينظر: ملامح التأويل والإحتجاج في كلام السبط المجتبى:90.

–على لسان نبيه محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)
– وما خرج من صلب أبيك الى يوم القيامة
– وذرّيتك
– أهل بيتك
– لعن أباك
– لعنك الله

فإيراد الإمام الحسن (عليه السلام) لهذه الحجج بصورة تراتبيّة كان بمثابة الرادع لمروان لا سيما أنَ هذه اللعنات وردت عن الله تبارك وتعالى على لسان نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو الصادق الأمين، لذلك جعل هذه الحجة (على لسان نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم)) أعلى السلم حتى لا يكون هناك مجالًا للشك، فكانت النتيجة بعد خروج الإمام (عليه السلام) من مجلسهم، حيث تفرق مروان وأصحابه (بغيض، وحزن وسواد الوجوه في الدنيا والآخرة)[1].

ولأن الحجاج يقوم على (حسن اختيار الحجج وصوغها وتنظيمها وإلقائها)[2] فإن تنظيم الحجج على وفق هذا المسار التصاعدي يمنح المتكلم الحيَز الأكبر لكسب رضا مخاطبه لأنه يعمل على صوغ حججه ابتداءً من الأضعف ما يجعل مخاطبه متلهفًا لسماعِ أقوى الحجج وصولًا إلى الحجة الأخيرة التي تستقر في أعلى السلم (لتكون الأقرب إلى النتيجة المقصودة من الخطاب)[3] وهذا ما شوهد في جزء من كلام الإمام الحسن (عليه السلام) حيث كانت ردود أفعال خصومه ومتلقيه مائلة باتجاه التسليم وإن كان ظاهرًا.

سلّم الحجج التنازليّة:

هذا النمط من الحجاج يسير على عكس النمط الأول، حيث يبدأ المتكلم بطرح حججه تنازليّا، أي: بدءًا من الحجج الأقوى وصولًا الى أضعف حجة في سلّم الخطاب، والمحاجِج كثيرًا ما يلجأ إلى هذا النمط من السلالم عندما يشعر أن البدء بالحجج الضعيفة قد يواجه ردّا من المتلقي بحجج أقوى، لذلك يبدأ كلامه مدافعًا عن الوجهة التي يريد وهذا ما يقيّد المتلقي ويحجّم عليه باب النقاش ويجعله آخذًا بطريق القبول لما قاله المحاجِج، ولاسيما إذا كان هذا المتلقي خصمًا أو من النوع الجاحد أو الشاك الذي لا تجدي معه البدايات بالحجج الضعيفة[4]؛ لذلك يميل الإمام الحسن (عليه السلام) إلى استخدام هذا النوع من الخطاب مع معاوية ومن شاكله من رجال بني أمية وكذلك مع عامة المخاطبين من أهل الكوفة في بعض المواقف التي تستدعي هكذا نوع من المحاججة، حيث يتدرج بكلامه على وفق هذا النمط، ومن ذلك ما جاء في الكتاب الذي أرسله إلى معاوية بعد استشهاد أمير المؤمنين (عليه السلام) ومبايعة الناس له، والذي ذكر فيه العديد من الحجج ليستجيب معاوية للبيعة، ومن أبرزها بعض تلك الصفات التي انفرد بها جدّه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على سائر الخلق، ومنها:

((أظهر الله به الحق، ومحق به الشرك، ونصر به المؤمنين، وأعزّ به العرب، وشرَف به قريشًا خاصة، فقال تعالى (وانه لذكرٌ لك ولقومك) [5]))[6].

(1) الإحتجاج: 1، 415.
(2) الحجاج الجدلي، خصائصه الفنية وتشكلاته الإجناسية في نماذج من التراث اليوناني والعربي: 70.
(3) السلالم الحجاجية في شعر أحمد الوائلي: 85.
(4) ينظر: السلالم الحجاجية في شعر أحمد الوائلي: 85.
(5) الزخرف: 44.
(6) مقاتل الطالبين:30، شرح إحقاق الحق: 464/26، الموسوعة: 112.

فترتيب الحجج بشكلها التنازلي واضح في الخطاب، وأيضًا يوضحها السلم الآتي:

- أظهر الله به الحق
- محق به الشرك
- نصر به المؤمنين
- أعزَ به العرب
- شرَف به قريشًا

فيبدأ الإمام (عليه السلام) بالحجة الأعلى المتمثلة بـ (أظهر الله به الحق) والتي أدت الى (محق به الشرك) لتأتي بعد ذلك الحجة الثالثة (نصَ به المؤمنين) عامتهم من العرب وغيرهم، ثم أعزَ به العرب، وصولًا إلى آخر درجة من السلم وهي (شرَف به قريشًا) أي قبيلته، وهي أقل الحجج درجةً وفق هذا الترتيب الذي كان التدرج فيه أو التنقل بين الحجج بواسطة (الواو) التي لا تفيد فقط (مطلق الجمع بل تفيد الترتيب)[1] [**]احيانًا، وهي ككل أدوات الربط الحجاجيَة تُستثمر دلاليّا في (ترتيب الحجج ونسجها في خطاب واحد متكامل، إذ تفصَل مواضع الحجج، بل وتقوّي كل حجة منها الأخرى) [2] أي (تساهم بالضغط النفسي على المتكلم وتكثّف الحجج عليه وبالتالي تـــزيد من درجة إقتناعه)[3]، فكان هذا التوالي في ترتيب الحجج من جانب الإمام الحسن (عليه السلام) لمعاوية؛لإسكاته وجعله مقتنعًا بتلك الخصال التي خصَ الله تعالى بها رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد شرَفه بحمل رسالته التي كلَف من بعده آل بيته (عليهم السلام) بأدائها، لذلك جاء الإمام (عليه السلام) بالشاهد ليوَثّق ما ذهب إليه من حجّة، فقوله تعالى: ((وانه لذكرٌ لك ولقومك)) أي أن آل البيت (عليهم السلام) هم قومه وهم أهل الذكر[4]، فحضور الشاهد القرآني في درج الحجج ساهم في منحها القوة والمصداقية نظرًا للبعد السلطوي الذي يتميز به هذا النص، والذي شدَ من كثافة الحجج المتدرجة في الخطاب حتى بات من الصعب إنكارها؛ لذلك جاء الرد في كتاب معاوية حاملًا اعترافًا بالفضائل التي مُني بها الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) بالإضافة إلى سابقة آل البيت (عليهم السلام) ومكانتهم وفضلهم[5].

وخطب الإمام الحسن (عليه السلام) بأهل الكوفة بعد شهادة أبيه وبعد أن اجتمعوا ليبايعوه، موبّخا إيّاهم ومذكرهم بالحال التي كانوا عليها مع أمير المؤمنين (عليه السلام) وكيف أنهم لم يوفوا بالعهود، فطلب منهم اللحاق به إلى المدائن ليُثبتوا له صدق نواياهم، فتخلف الكثير منهم ولم يوفوا بما قالوا، فعند ذلك قال لهم:

((قد غررتموني كما غررتم من كان قبلي، مع أي إمامٍ تقاتلون بعدي ؟! مع الكافر الظالم الذي لم يُؤمن بالله، ولا برسوله قط، ولا أظهر الإسلام هو ولا بنو أُميَة))[6].

يبتدئ الإمام (عليه السلام) خطابه بـ (قد) الدالة على تحقيق حدوث الفعل، مماثلًا في ذلك بين الحال التي هو عليها وحال أبيه مع أهل الكوفة، ليستفهم بعد ذلك متعجّبا وموبّخا إياهم (مع أي إمام تقاتلون بعدي) قاصدًا بذلك الاستفهام إثارة أذهانهم نحو التفكير والتنبيه من أجل الهداية إلى معرفة وجه الصواب[7]، ولاسيما أن ماضيهم لا زال يتكرر في تغريرهم بأهل البيت واصطفافهم الى جانب معاوية الذي وصفه بـ (الكافر الظالم) ليتسلسل في صفاته تنازليّا متعجّبا ومُنكرا اصطحابهم مع من يتصف بذلك، وهو بهذا

(1) أساليب الربط وأدواته في اللغة العربية بين القديم والحديث، دراسة تطبيقيّة: 107.
(**) اختلف النحويون في دلالة الواو العاطفة، فجمهور أئمة العربية والأصول والفقه يرون أنها تدل على الجمع المطلق، في حين يرى الكوفيين ومن بينهم ثعلب وابن درستويه أنها للترتيب مطلقًا سواء كانت عاطفة في المفردات أو في الجمل، وقد فصل في ذلك كثيًرا: صلاح الدين العلائي في كتاب: الفصول المفيدة في الواو المزيدة: 67 وما بعدها.
(2) استراتيجيات الخطاب: 472.
(3) الحجاج اللساني وآلياته في نص الخطبة، دراسة لنماذج مختارة: 35.
(4) ينظر: الكافي، 1 / 211.
(5) ينظر: أعيان الشيعة: 567/1، مقاتل الطالبين: 36.
(6) الخرائج والجرائح: 2/ 574، و: الموسوعة 98
(7) ينظر: من بلاغة القرآن:128.

التسلسل يغلق عليهم باب الردّ والنقاش عليهم:

- الكافر الظالم
- الذي لم يؤمن بالله
- ولا برسوله قط
- ولا أظهر الإسلام هو ولا بنو أميَة

ف (الكافر الظالم) تمثل الصفة الأعلى لمن لا يُؤمن بالله ولا برسوله قط والمجيء بـ (قطّ) هنا اقتضى الدلالة على نفي الزمان[1]، وصولًا إلى أسفل درجة في السلم)ولا أظهر الاسلام هو ولا بنو أميّة) وتكرار(النفي) في السلم الواحد (أربع مرات) فيه دلالة على زيادة توجيه الحجة نحو النتيجة النهائية، فهو عامل يساعد على تقليص الإمكانات الحجاجية ومن ثمّ تعريف المتلقي بالقصد من الخطاب، لآنه يمثل ردّ فعل على فعل ثابت أو محتمل الحصول[2]، والفعل الذي أراد الإمام (عليه السلام) إثباته لإيصاله إلى أهل الكوفة هو أن معاوية بهذه الصفات لا يصلُح أن يخلف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ونحن أهل البيت لا يليق بنا هذا الغدر، فكان لا بدّ من إيراد تلك الحجج بصورة تنازليّة انسجامًا مع الموقف الداعي لذلك والمتمثل بالتمرد على خلافة آل البيت (عليهم السلام) وما زاد هذا الحجاج توجيهًا، هو ذلك العدول من الإثبات إلى الاستفهام ثم النفي؛لما تحمله هذه الأساليب من معاني إنجازيّة تصل بالمتلقي إلى القصد مباشرة.

ويحتج الإمام الحسن (عليه السلام) على عمرو بن العاص بعد اتهامه إيّاه وأبيه (عليه السلام) بمقتل عثمان فيقول له:

((إنّ لأهل النار علاماتٍ يُعرفون بها، الحادًا لأولياء الله، وموالاةً لأعداء الله، والله إنّك لتعلم أنّ عليّا لم يرتب في الدين، ولا يشكّ في الله ساعة ولا طرفة عين قطّ))[3].

فكان الرد غير المباشر من قِبل الإمام (عليه السلام) أبلغ حجةً ل(عمرو بن العاص) في تعريفه بأنه من أهل النار، فقد استهل كلامه بما يعرف في علم البديع بـ (التقسيم) مشيرًا بذلك إلى منزلة ابن العاص من خلال تلك السمات التي اتسم بها أهل النار من إلحاد لأولياء الله، وموالاة لأعداء الله، ولأن ابن العاص جاحد منكر وشاكّ (يتحرى في كل مناسبة انتقاص أهل البيت عليهم السلام، ويعلّق عداءه وبغضه لهم)[4] فقد عدل الإمام (عليه السلام) نحو القسم والمجيء بأكثر من مؤكد ليزيل شكه ويُثبت عليه حجته: (إنّك لتعلم أن عليّا لم يرتب في الدين) ثم تدرج بواسطة (الواو) نافيًا عن أمير المؤمنين (عليه السلام) السمات التي عُرف بها أمثال عمرو، فهو (لا يشك في الله ساعة ولا طرفة عين قط)، ف (إّن + اللام الواقعة في جواب القسم + النفي بـ (لم ولا) كلها وسائل جاء بها الإمام (عليه السلام) لتمنح حججه المتدرجة توكيدًا يجعل خصمه عاجزًا عن الرد، فبعد تعريضه به عادّا إياه من أهل النار ومؤكدا ذلك بقوله:(إن لأهل النار علامات) الذي جاء بصورة الخبر الإنكاري اقتضاءً لحال المخاطَب وإعلامًا له بأنه ممن يشتمل عليه ذلك؛ليكون منتبهًا وصاغيا لمعرفة تلك العلامات التي جاءت متسلسلة وفق التراتبية الآتية:

- إلحاداً لأولياء الله
- مولاة لأعداء الله
- علي لم يرْتَب في الدين
- لا يشك في الله ساعة
- ولا طرفة عين قط

ف (إلحادًا لأولياء الله) في أعلى السلم، ثمّ (موالاةً لأعداء الله) في الدرجة التي تليها، لأن الإلحاد أعظم درجة من الموالاة

(1) ينظر: أساليب الربط وأدواته في العربية: 137.
(2) ينظر: الحجاج في كلام الإمام الحسين (عليه السلام): 195.
(3) شرح نهج البلاغة: 16، 27، بحار الأنوار: 44 / 102، الموسوعة:182.
(4) حياة الإمام الحسن (عليه السلام): 2 / 327.

للعدو، فهو من الشك في الله[1]، ولأن ابن العاص اتهم أمير المؤمنين (عليه السلام) بدم عثمان، جاءه الإمام الحسن (عليه السلام) بسلّم تنازليّ آخر في الدرجات التالية ليذكر الصفات المضادة لصفاته، والتي يتمتّع بها الأمام عليّ (عليه السلام) فالغرض من هذا السلّم المبدوء بأعلى الحجج هو إبطال ما لدى الخصم من حجج ف (عمرو بن العاص) لم يكن مخاطَبًا خالي الذهن بل جاحدًا منكرًا، فلا بدّ من التوجه اليه بأقوى الحجج أوّلا لإلجامه وجعله عاجزًا عن الرد والإنكار.

ومن مصاديق السلم التنازلي أيضا ما ورد في خطبة الإمام الحسن (عليه السلام) في الكوفة بعد شهادة أبيه (عليه السلام):

((لَقد قُتلتُم – وَاللهِ – رجُلًا فِي لَيلةٍ نَزلَ فَيها القُرآن وفِيهَا رُفِع عِيسَى بنُ مَريَم وفِيها قُتل يُوشَع فَتى مُوسَى))[2]

تنطلق الحجة في هذه الخطبة من عظمة الليلة التي استشهد فيها أمير المؤمنين (عليه السلام) وذلك إشارة إلى عظمته (عليه السلام)، فهي الليلة التي نزل فيها القرآن والذي يمثل حدثًا عظيمًا في حياة المسلمين، ثم هي الليلة التي رُفع فيها نبي الله عيسى(عليه السلام)، فالليلة التي قُتل فيها يوشع وصي النبي موسى (عليه السلام)؛ ولأنها كانت أول خطبة للإمام الحسن (عليه السلام) بعد شهادة أبيه، لذلك كانت سببًا في ذكر عظيم منزلته، لِيعلم المسلمون من فارقوا في تلك الليلة لتتوجه الحجة لهم لمبايعة من هو أولى بخلافتهم بعده، وكذلك كانت سببًا في ذكر بعض تلك الفضائل التي تبيّن علوّ مقامه ورفعته التي وصلت الى الليلة التي استشهد فيها، حيث جاءت الحجج المتسلسلة بأحداثها مرتّبة تنازليّا وبالشكل الآتي:

– نزل فيها القرآن
– رُفع فيها عيسى بن مريم
– قُتل فيها يوشع بن نون

فترتيب الحجج بحسب أهميتها وقوتها جاء لإ ستنكار ذلك الموقف وبيان عظمة ما ارتُكب من فعلٍ وما على المتلقي إلّا أن يسلّم بفداحة ذلك الجرم ويعلن الطاعة لإمامه، فالامام (عليه السلام) يعلم ما مدى القداسة والمنزلة التي يحتلها القرآن في قلوب المسلمين وعظمة الليلة التي أُنزل فيها لذلك جاءت هذه الحجة في المقدمة ليكون المتلقي مُلبَياً لما يسمع ولا شك عنده أو ردّ ليُخالف ثم تلتها الحجج الأخرى لتُحقق النتيجة المطلوبة والتي بدت واضحة في موقف أهل الكوفة بعد أن ختم الإمام (عليه السلام) كلامه حيث قام عبد الله بن عباس ودعا المسلمين للبيعة فأذعنوا له مظهرين حبهم له ومعترفين بحقه عليهم [3].

فبما تحويه الحجة الأقوى من رصانة ومصداقية وما لها من أهمية في ردع كل من يشك أو يتردد في حجج الطرف الآخر، لذلك يجعلها المحاجج في مثل هذه المواضع في أعلى درجات الكلام لما تحققه من إذعان ومقبولية يجعل ما بعدها مسلَّما به دون شك، وهو ما عمل به الإمام الحسن (عليه السلام) كما لوحظ في النصوص المتقدمة.

سلّم الحجَج التراكمية:

ينتمي الحجاج لهذا النوع من السلالم عندما (تتعدد فيه الحجج وتتراكم دون مراعاة لمبدأ التدرج من الأقوى الى الأضعف أو العكس، ودون مراعاة التفاوت الحاصل في القوة التدليليّة لتلك الحجج فكل حجة تكون أقوى وأكثر فاعليَة في اللحظة التي تُستعمل فيها، وهو أكثر عفويّة وتلقائيّة من النوعين السابقين)[4] أي أن الحجج المُنتمية لهذا النوع من السلالم تزدحم متخذةً نوعًا من الاستقلال لكل حجَة، وما يدل على ذلك أن نقض أي حجة من تلك الحجج، يؤدي إلى نقض الحجة التي تليها أو تسبقها[5]، وبعد التمحيص في كلام الإمام الحسن (عليه السلام) لوحظ أن هذا النوع من السلالم غالبًا ما تُشكّله آليات ثلاث، سأعرض لها أوّلا ثم أفصل في الشواهد.

(1) ينظر: لسان العرب: 5 / 4006.
(2) الذرية الطاهرة النوبية: 115، شرح إحقاق الحق:26 /473.
(3) ينظر: بحار الأنوار: 43 / 362.
(4) الحجاج في الخطاب السياسي، 374.
(5) ينظر: آليات الحجاج وأدواته، بحث ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته: 1 /98، ينظر: السلالم الحجاجية في شعر أحمد الوائلي: 86.

1-التكرار:

انطلق الحجاجيون في عد التكرار آلية حجاجية تعين على الإقناع نظرًا لدلالته النحوية فهو(دلالة اللفظ على المعنى مرددًا)[1] وبتعبير آخر هو (ضم الشيء إلى مثله في اللفظ مع كونه إيّاه في المعنى)[2] أي أنه يدل على (إعادة اللفظ أو المعنى في الكلام لإحراز فائدة التأكيد والترسيخ)[3] لذلك عُدّ رافداً فاعلاً في العملية الحجاجية، فهو يوفّر للحجج طاقة مضاعفة تؤثر في المتلقي تأثيرًا واضحًا وتعين على إقناعه وجعله يُسلّم بما يقوله المتكلم، لأنه بالدرجة الأولى يساعد على تبليغ المخاطَب وإفهامه قصد المحاجِج من كلامه، وبالدرجة الثانية يؤدي إلى ثبوت الفكرة وترسيخها في ذهنه، فإذا بدأ المحتج بتكريره لحجته فإن ذلك يقود إلى بيان مقاصدها وإدراك مراميها وتصبح واضحةً جليّة لدى المتلقي فتنحو به نحو القبول[4].

والتكرار بهذه الفاعلية لا يُقصد به (ذلك التكرار المولّد للرتابة والملل أو التكرار المولّد للخلل والهلهلة في البناء ولكنه التكرار المبدع الذي يدخل ضمن عملية بناء النص أو الكلام بصيغة عامة)[5]، وهو ما يعمل على عدم رفض المتلقي للرأي الذي يُطرح عليه بل يميل به نحو القبول، وقد تنبَه البلاغيون القدامى لذلك، إذ توجد بعض الإشارات التي يُفهم منها ان للتكرار أثرٌ في إبلاغ الحجة وتقويتها وإلزام المخاطب بها[6].

إذن يُعد التكرار موجّها حجاجيّا يضطلع بدور إقناعي مؤثر في القول نظرًا لأنه أسلوب يتجاوز (وظيفة الإخبار والإبلاغ إلى وظيفة التأثير والإقناع وهي وظيفة تنتج عن التكرار بما يثير من دلالات الإلحاح والمبالغة في التأكيد بل تدفع بعض حالات التكرير الى تغيير سلوك المخاطب)[7].ومن هذا المنطلق الذي يُسهم فيه التكرار بمضاعفه توكيد الحجة وكثافة توجيهها، بات من أبرز الآليات التي تزيد النص الحجاجي توجيها وإقناعًا.

2-الوصف:

يؤدي الوصف دوًرا مهمًا في عملية الإقناع، فالصفة تنهض بدور حجاجي يعبّر عن وجهة نظر المتكلم من الموضوع، وليس ذلك فحسب، فالصفة تأتي لتبيّن موقف المرسل الذي يحكم به على الموصوف[8]، فهي تُعد (من الأدوات التي تمثل حجَة للمرسل في خطابه وذلك بإطلاقه لنعت معين في سبيل إقناع المرسل إليه)[9]، لذلك عُدَت الصفات بأنواعها المختلفة من نعت واسم تفضيل وصيغة مبالغة من أكثر أقسام الكلام تعبيرًا عن السلميّة بمعنى أن الصفة التي ترد في أسفل السلم الحجاجي هي أقل الصفات قياما بالدور الإقناعي في حين تكون الصفة الواقعة في أعلى السلم أكثرها توجيها للملفوظ وبالتالي أكثرها حجاجيّة[10]

وعليه تُعد الصفات أدوات في الفعل الحجاجي ومن العلامات الدالة عليه، فدور المرسِل لا يقتصر على توظيف المعنى المعجمي لها أو تأويله في خطابه، بل لا بدّ من تصنيفها وتقويمها وابداء النتائج التي يريد الحصول عليها وهذا ما يجعلها تمتاز بالطواعية والمرونة التي تُعد من خصائص الخطاب الطبيعي في العملية الحجاجيّة لتجعل المرسل يصنف لأكثر من فعل ويوجّه ذهن المتلقي إليه ليصل به إلى مرتبة من الإقناع[11].

(1) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: 3
(2) شرح الرضي على الكافية لابن الحاجب: 1،49.
(3) الحجاج في رسائل الشيخ أحمد التيجاني، دراسة في وسائل الإقناع: 45.
(4) ينظر: الحجاج في الشعر العربي: 168.
(5) الخطاب والحجاج: 49.
(6) ينظر: الحجاج في رسائل التيجاني: 46.
(7) الحجاج عند البلاغيين العرب، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، علي محمد علي السلمان: 1، 187.
(8) ينظر: الحجاج أُطره ومنطلقاته وتقنياته، بحث ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج: 316.
(9) استراتيجيات الخطاب: 486.
(10) ينظر: السلالم الحجاجيّة في القصص القرآني: 121 -122.
(11) ينظر: استراتيجيات الخطاب: 487.

3-النفي:

النفي أيضًا من العوامل التي أدت غرضها الحجاجي الفاعل في كلام الإمام الحسن (عليه السلام)،وقد تمّ التطرق إليه سابقًا في الفصل الأول بوصفه عاملا حجاجيّا ولكن نظرًا لشيوعه في هذا النوع من السلالم في كلامه (عليه السلام) تم تكراره مرة أخرى ليُشكّل بمعيّة التكرار والوصف سلّما تراكميّا يعمل على إبطال ما لدى المتلقّي من حجج، مع ملاحظة أن هذه الآليات قد تجتمع أو تنفرد أو يجتمع اثنان منها فقط في السلّم الواحد، ومن أمثلة هذا النوع من السلالم ما ورد في خطبة الإمام الحسن (عليه السلام) لأهل الكوفة في أحداث الجمل والتي شكّل فيها الوصف سلّما تراكميّا واضحًا:

((أيها الناس إنّا جئنا ندعوكم إلى الله وكتابه وسنّة نبيّه وإلى أفقه من تفقّه من المسلمين وأعدل من تعدلون، وأفضل من تفضلون وأوفى من تبايعون))[1]

تنطلق المحاججة من بيان سبب الدعوة، وهو التمسك بالله وكتابه وسنة نبيَه (صلى الله عليه وآله وسلم)، تلك الحجج الدالّة على ضرورة اتباعهم لإمامهم، والحرب الى جانبه، لذلك جاءت داعيةً إليه معدَدة لأوصافه بصورة تراكميَة، لتبدو أكثر اقناعًا، مشيرًا الإمام (عليه السلام) بذلك إلى تفرد أبيه (عليه السلام) بتلك المزايا التي جعلت التمسك به بعد التمسك بالله وكتابه وسنَة نبيَه (ﷺ) لتتوالى في سياقها الإقناعي القائم على إسم التفضيل نظرًا لما يحويه هذا المشتق من قيمة كبيرة في جلب انتباه المتلقي لعظمة الصفة التي يتمتع بها الموصوف ما جعلته مفضّلا على غيره، فهو صفة تدل على ((أن شيئين اشتركا في معنًى وزاد أحدهما على الآخر فيه))[2] فالإمام علي (عليه السلام) هو أفقه وأعدل وأوفى وأفضل من عرفه أهل الكوفة، وإلى جانب إيراده لهذه الصفات فهو يكرر الإسم الموصول (مَن) أربع مرات أيضًا وكأن فيه دلالة حجاجيَة تفيد بأن لا أحد ممن عرفتُم يوازي عليّا (عليه السلام) في أفضليته وعدله وفقهه وكل صفاته، فهذا التكرار والترديد للصفات ساهم في صنع سلّم تراكميّ في كلام الإمام الحسن (عليه السلام) عند خطابه لأهل الكوفة، فكل حجّة من هذه الحجج الواردة تُمثل بنية مستقلة بذاتها وحجة دامغة تدعو المتلقي لاتباع المحاجِج، فالحجج الآتية شكلت كثافة تدليليه جعلت كل واحدة منها أشدّ تأثيرًا وأكثر حضورًا لحظة النطق بها:

- أفقه من تفقه من المسلمين
- أعدل من تعدلون
- أفضل من تفضلون
- أوفى من تبايعون

ويردّ الإمام الحسن (عليه السلام) على معاوية في خطبة له في المدينة بعد أن تنقصه معاوية بكلام حيث تداخله الحسد حين رأى أناس من قريش يعظّمونه، فبدأ الإمام (عليه السلام) بتعريف نفسه وانتسابه إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بحجج تراكميّة قائمة على التكرار والوصف لتكون جوابًا مسكتاً لمعاوية ومبطلاً لدعواه:

((أيّها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن علي بن ابي طالب، أنا ابن نبي الله، أنا ابن من جُعلت له الارض مسجدًا وطهورًا، أنا ابن السراج المنير، أنا ابن البشير النذير، أنا ابن خاتم النبيين وسيد المرسلين وإمام المتقين ورسول ربّ العالمين، أنا ابن من بُعث إلى الجن والانس، أنا ابن من بُعث رحمةً للعالمين))[3].

هذا التراكم القائم على تكرار الضمير (أنا) المضاف إلى (ابن) أو (ابن من) للدلالة على الإنتساب لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والتفرد بذلك من بين المخاطبين فضلًا عن الصفات العديدة والمختلفة لجدّه (صلى الله عليه وآله وسلم)، جعلت معاوية لا يحتمل أن يُتم الإمام (عليه السلام) كلامه، وهي علامة على التسليم بالحجة، لذلك قاطعه قائلاً: ((يا حسن عليك بصفة الرطب))[4]،

(1) شرح نهج البلاغة: 14/11، أعيان الشيعة: 1/ 565، بحار الأنوار: 32 / 87.
(2) النحو الوافي، مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة: 3 / 280.
(3) مقتل الحسين: 184، بحار الأنوار: 44 /121، الموسوعة: 164.
(4) مقتل الحسين: 184.

فأجاب الإمام (عليه السلام) طلبه، ثم أتم ما ابتدأ به قائلًا:

((أنا ابن المستجاب للدعوة، أنا ابن الشفيع المطاع، أنا ابن أول من ينفض رأسه من التراب، ويقرع باب الجنة، أنا ابن من قاتلت الملائكة معه ولم تُقاتل مع نبي قبله، أنا ابن من نُصر على الأحزاب، أنا بن من ذلّ قريش رغْما))[1].

النص بأكمله يُشير إلى كثافة لغوية خيَم عليها النعت والتكرار ليكوّنا سلّما تراكميّا ذا وظيفة إقناعيّة تميل نحو جعل المخاطب لا يمتلك إلّا أن يُسَلم بما أُلقي عليه، فضمير الفصل (أنا)، الدال على (التوكيد، وايجاب أن فائدة المسند ثابتة للمسند إليه دون غيره)[2] قد تكرر في النص ثلاث عشرة مرة مضافًا إلى (ابن) أو (ابن من) التي تشير إلى توكيد النسبة إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وإن دلّ ذلك على شيء إنّما يدلّ على (البعد المقامي)[3] الذي يتمتع به الإمام الحسن (عليه السلام) والذي لا يجهله معاوية، فهذا التكرار بنمطه الإسلوبي المؤثر عمّق جذور المنشئ الأصيلة بالشكل الذي لايكون فيه للمتلقي أدنى شكّ للتشكيك في سعي المنشئ وقصده[4] ليُعطي اشعارًا للمخاطب بأن ماذُكر مقصورًا عليه دون غيره، ثم ما زاد الموقف حجة هي تلك الأوصاف المتعدّدة التي عُرف بها الرسول الأكرم (صلى الله عليه وسلم)، حيث أورد له الإمام الحسن (عليه السلام) أكثر من ثلاث عشرة صفة قد انفرد بها (صلى الله عليه وآله وسلم)، وما استدعى ذلك هو الموقف الإنفعالي الذي كان عليه الإمام (عليه السلام) حيث كان مليئا بالنعوت المتعددة والعبارات التي تطلبت إظهار المشاعر المختلفة الخاصة به، ليصل بها إلى المتلقي لينسجم معها ويتفاعل هو الآخر بما سمع[5].

وأبرز ما يلاحظ على هذه الحجج هو (ان تبديل أي حجة مكان الاخرى لا يُشكل فرقاً دلالياً لتسلسل هذه الحجج في الخطاب)[6] فالحجة الاولى يمكن ان تكون الثانية او الثالثة أو.... أو الاخيرة وهكذا بقية الحجج، فترتيبها بالشكل الآتي لا يخلق مفاضلة بينها، فكلها نعوت وحجج تُشير إلى منعوت واحد وتبتغي نتيجة ضمنية واحدة وهي أن النبي وآله (عليهم السلام)لا يضاهيهم أحد في الرتبة، وذلك ما يُوجب اتباعهم:

- أنا ابن نبي الله
- أنا ابن من جُعلتْ له الأرض مسجدًا وطهورا
- أنا ابن البشير النذير
- أنا ابن خاتم النبيين
- وسيد المرسلين
- وإمام المتقين
- ورسول رب العالمين
- أنا ابن بُعث الى الجن والإنس
- أنا ابن من بُعث رحمةً للعالمين
- أنا ابن الشفيع المطاع
- أنا ابن أول من ينفض رأسه من التراب ويقرع باب الجنة
- أنا ابن من قاتلت الملائكة معه ولم تُقاتل مع نبي قبله
- أنا ابن من نُصر على الأحزاب
- أنا ابن من ذلَ قريش رغما

(1) مقتل الحسين: 184، بحار الأنوار: 44 /121
(2) معاني النحو: 1، 49.
(3) الأبعاد التداولية في خطبة الإمام الحسن (عليه السلام): 44.
(4)ينظر: التصوير الفني في خطب الإمام الحسن (عليه السلام): 100.
(5) ينظر: ظاهرة تعدد الوظيفة النحوية في التركيب اللغوي (الخبر، الحال، النعت): 182.
(6) السلالم الحجاجيَة في شعر أحمد الوائلي: 87.

وخير دليل على تراكميَة هذه الحجج واستقلاليتها هو قلة الروابط فيما بينها حتى تكاد تخلو منها[1] فالنص المتقدم قد احتوى على ست عشرة حجة لم يرد فيه سوى الرابط (الواو) ليدل على الجمع أربع مرات فقط، وهذه الصفة التي ينفرد بها هذا النوع من السلالم تشبه إلى حد كبير ما عُرف به الشعر العربي القديم، إذ يعد البيت الواحد وحدة دلالية مستقلة بذاتها[2]، أي أن بالإمكان انتزاع أي بيتٍ من القصيدة ليكتفي بمعناه ويعطي دلالة واضحة دون الحاجة إلى البيت الذي يسبقه أو يليه وكذلك هو حال هذا النوع من الحجج.

وما لوحظ في كلام الإمام الحسن (عليه السلام) أن هذه الطريقة في تراكم الحجج والمتكونة من (الضمير + ابن مضافًا للوصف) قد تكررت عنده في أكثر من مناسبة[3]، نظرًا لما لتكرار هذه الصيغة من قوة (فاعلة وسلطة قوية في نفس المتلقي للتأثير فيه وجعله يعيش جو النص ليؤكد على قيمة ومكانة المنشئ)[4]ويبدو أن هذا التكرار لضمير المتكلم يشير إلى دلالة التفرد بالصفة وتخصيصها بالمتكلم لذا فهو يمثل نوعًا من القصر بين المسند والمسند إليه[5]، وهذه هي علة تكراره عند الإمام الحسن (عليه السلام) ليعطي لمخاطبيه إشارةً بأن هذه الصفات مقتصرة علينا وخاصة بنا آل البيت (عليهم السلام)، وبهذه الطريقة يحقق بغيته الحجاجيَة.

ونظير ذلك أيضًا ما ورد في كلام له (عليه السلام) بعد استشهاد أمير المؤمنين (عليه السلام): **((أنا من أهل البيت الذي كان جبريل ينزل فينا ويصعد من عندنا، وأنا من أهل البيت الذين " أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا " وأنا من أهل البيت الذين افترض الله مودتهم على كل مسلم فقال لنبيّه: " قل لا أسألكم عليه أجرًا إلّا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنى"[6] فاقتراف الحسنة: مودتنا أهل البيت))**[7]

في هذا السلم تتراكم ثلاث حجج مبتدئة بالضمير(أنا) ومستدلةً بالشاهد القرآني للدلالة على القصر وتخصيص تلك الخصال بآل النبي (عليهم السلام) دون غيرهم فضلًا عن زيادة توكيدها وثبوتها القائم على تكرار ضمير الفصل الذي زاد من حدة توكيد المعنى وإيصاله بالشكل المطلوب للمخاطب فـ((تشكيل المعنى وإبرازه يعتمد على وضع الضمائر داخل النص إذ أن هذه الضمائر من بين الوسائل التي تحقق التماسك الداخلي والخارجي))[8] له وليس تكرار الضمير فحسب بل العبارة بأكملها (أنا منا هل البيت الذين) والمتبوعة بما يدل على بعض ما امتازوا به على سائر الخلق، أي أن في هذا التكرار اصرارًا على ما مُني به آل البيت (عليهم السلام) من صفات باتت حجةً على غيرهم:

- أنا من أهل البيت الذي كان جبريل ينزل فينا ويصعد من عندنا
- أنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا
- أنا من أهل البيت الذين افترض الله مودتهم على كل مسلم

فهذا التكرار التراكمي لم يكن لغاية اعتباطية بل لـ (غاية حجاجيَة إذ أن ذلك الترديد الذي يحدثه المرسل في خطابه، ينتج زيادة في حضور الفكرة في ذهن المتلقي، الأمر الذي يؤدي إلى قبول تلك الفكرة والإقتناع بها)[9] لا سيما إن هناك ما يعضّد هذه الفكرة ويشدّ من رسوخها وهو الإشارة الى آية التطهير أولًا، التي دلت على عصمة آل البيت (عليهم السلام) وطهارتهم من الذنوب دون سواهم[10]، ثم آية المودة التي نزلت في قربى آل محمّد (عليهم السلام)[11]، وهي شواهد ذات سلطة حجاجيَة لا يمكن لمتلقيها إلّا الرضوخ لما يسمع.

(1) ينظر: السلالم الحجاجيَة في شعر أحمد الوائلي: 87.
(2) ينظر: وحدة القصيدة في الشعر العربي حتى نهاية العصر العباسي: 269.
(3) من قبيل ذلك تفاخره على معاوية حين فخر يومًا بنسبه، ينظر: مناقب آل أبي طالب: 3 / 186.
(4) التصوير الفني في خطب الإمام الحسن (عليه السلام): 101.
(5) ينظر: أساليب المعاني في القرآن: 144.
(6) الشورى: 23.
(7) الذرية الطاهرة النبوية: 110، وينظر:الدر النظيم:507، وأمالي الطوسي:27، والموسوعة: 96
(8) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: 161.
(9) الحجاج في المثل السائر: 81.
(10) التفسير الكاشف: 6 /216.
(11) ينظر: تفسير الطبري: 21 / 525.

وتتراكم الحجج المنفية القائمة على الوصف في خطبة الإمام الحسن (عليه السلام) بأصحابه بعد تألمهم من إبرام الصلح، لتُبيّن العلّة التي دفعته (عليه السلام) لفعل ذلك:

((فلو كنت بالحزم في أمر الدنيا أعمل وسلطانها أركض وأنصب، ما كان معاوية بأبأس منّي بأسًا، ولا أشدّ مني شكيمة ولا أمضى منّي عزيمة، ولكنّي أرى غير ما رأيتم، وما أردت فيما فعلت إلّا حقن الدماء فارضوا بقضاء الله، وسلّموا لأمره))[1].

فالامام (عليه السلام) يُشير لأصحابه بأنه لو كان سائرًا في الطريق الذي عليه معاوية، فمعاوية لا يفضله بشيء لابأسا ولا شكيمة ولا عزيمة مُصدَرا حججه بـ (لا) الدالة على تحقيق النفي[2]،التي اعقبها بـ(أفعل التفضيل) لينفي أفضلية معاوية عليه بشيء وهو ما زاد في تركيز الحجة وإبلاغها ((فـ(أفعل) التفضيل يؤدي دوره الحجاجي بالتفاضل الذي يوجده بين طرفين وهذا التفاضل هو عملية ربط في علاقة مشتركة بين الطرفين (هو المعنى الذي يتفاضل فيه الطرفان) وبما أن هناك تفاضلًا فهناك ترتيب حجاجي لمتضمنات الخطاب))[3]

فقد بُني السلم في النص المتقدم على وفق درجات ثلاث لا تفاضل بينها، معتمدًا الوصف رافدًا حجاجيًا وكذلك النفي الذي جاء مُكررًا بالحرف (لا) ثلاث مرات وإن لهذا ((التكرار اللفظي بهذه الأشكال المختلفة وقعٌ في القلوب وأثر بليغ في الأسماع والأذهان))[4] يجعلها تميل نحو الرضا بما طُرح عليها، ويمكن رسم تلك الحجج بالشكل الآتي مع إمكانية أن تأخذ الواحدة منها مكان الاخرى:

- ما كان معاوية بأبأس مني بأسًا
- ولا أشد مني شكيمةً
- ولا أمضى مني عزيمةً

لتكون النتيجة بعد ذلك ((حقنًا للدماء ووضعًا لأوزار الحرب وجمعًا لكلمة الأمة وتمكينًا للمسلمين من أن يستقبلوا أمورهم مؤتلفين لا مختلفين ومتفقين لا مفترقين، ومن أن يفرغ أهل الثغور لثغورهم يردون عنها طمع العدو فيهما وفيما وراءها، ومن أن يفرغ الجند للفتح يستأنفوه من حيث وقفته للفتنة))[5].

كذلك تتشكّل هذه الآليات الثلاث (الوصف، التكرار، النفي) مكونةً سلّما تراكميّا في كلام الإمام الحسن (عليه السلام) لعمرو بن العاص حين لقيه بالطواف وبدأ يتهمه وأباه (عليه السلام) بمقتل عثمان ويرفع من شأن عثمان، فكان من ردَ الإمام (عليه السلام) عليه:

((إيّاك والجرأة علَي فإني من عرفت، لست بضعيف المغمز، ولا بهش المشاشة ولا بمريء المأكلة، وإني لمن قريش كأوسط القلادة))[6]

فالإمام الحسن (عليه السلام) بهذا الإسلوب الحجاجي يحذّر بن العاص من الجرأة عليه، ليوجّهه بالكف عن تلك التهم والادعاءات التي أوجدها البيت الأموي، مؤكّدا عليه بأنه يعلم إلى من يتحدث، مُفتخًرا بذلك بنسبه نافيًا بعض الأوصاف ومؤكدًا أخرى ليحدّ من تجاوز عمرو بن العاص وجرأته بأسلوب تراكمي وُظفت فيه صيغة المبالغة بما تحمله من معنى (المبالغة والتكثير)[7] والمتمثلة بقوله (لستُ بضعيف المغمز) و(لا مريء المأكلة) فضلًا عن الصفة المشبهة التي (تُعد من الأدوات التي تُمثل حجة للمرسِل في خطابه)[8] ليؤكد نفي الحجج جميعا بـ(الباء) التي تفيد (تقوية المعنى المراد وتوكيده لأن زيادة الحرف بمنزلة إعادة الجملة)[9] وهو

(1) بحار الأنوار: 29/44.
(2) ينظر: دور الحرف في أداء معنى الجملة: 62.
(3) الحجاج في الحديث النبوي: 188.
(4) الحجاج في الشعر العربي: 171.
(5) الفتنة الكبرى، علي وبنوه: 2 / 185.
(6) المحاسن والأضداد: 85، والمحاسن والمساوئ: 80، خطب الإمام الحسن:200
(7) أوضح المسالك الى الفية ابن مالك: 3 / 184.
(8) استراتيجيات الخطاب: 486.
(9) التراكيب اللغوية في العربية: 143.

ما يزيد في تركيز المعنى في فكر المخاطب فيكون أداة فاعلة في التأثير برأيه لا سيما أن تلك الحجج حملت معنًا كنائيّا دلّ على عظمة المتكلم ومكانته وعلو منزلته قياسًا إلى المخاطَب، وهو ما أكد عليه ختام النص (وإني لمن قريش كأوسط القلادة) ليزيد الحجة حضورًا بهذه التشبيه المؤكد بـ(إن واللام) فلا حجة بعد ذلك إلّا السكوت والإمتثال من طرف المتلقي، فهذا التنوع بتلك الآليات الثلاث صنع سلمًا تراكميّا ازدحمت فيه الحجج لتتوازن دون علوٍ للواحدة على الأخرى:

- لستُ بضعيف المغمز
- ولا بهش الهشاشة
- ولا مريء المأكلة

تعقيباً على ما سبق، تبيَن أن للخطاب سلطة لغوية تُضخم من امكانات المتكلم الحجاجيّة في الوقت الذي تعمل على تعطيلها لدى المتلقي ليستجيب للطرح الذي أُلقي عليه نظرًا لقوة تلك العناصر الحاملة للأبعاد المعنوية المؤثرة في المحاجَج، والتي تحمل في ذاتها قيمة حجاجية زيادة على دورها في شدّ انتباه المتلقي الناتج عن الكيفيّة التي تُقدّم فيها الحجج لتتراصف أو تُسلسل في أسلوب يبعث على الإقناع، فزيادة على دور العوامل في توجيه ذهن المتلقي نحو هدف واحد، فإن للسلالم أيضًا دورًا في تراكم الحجج أو تدرجها بحسب قوتها وبحسب السياق الذي يفرضه حال المتلقي، فمحاججة الشاكّ أو المنكر غير محاججة خالي الذهن في الغالب؛ نظرًا لما يتطلبه الأول من حجج أقوى تتصدر الكلام لتُبطل ما عنده من حجة في حين يمكن البدء بالحجج الضعيفة وصولًا إلى أقواها عندما يستشعر المتكلم تسليم المخاطب وإقناعه، وفي بعض الأحيان تتراكم الحجج ذات المستوى الواحد لتزدحم في ذهن المخاطب مشكّلة قوة حجاجية ناتجة عن كثافة ذلك التساوي في دلالتها ليجد المتلقي نفسه مسلّمًا قانعاً بما سمِع.

الخاتمة:

بعد تمام البحث لم يبق إلّا تسجيل النتائج التي تمخضت عنه، والمتمثّلة بالآتي:

1- تميّز كلام الإمام الحسن (عليه السلام) بظاهرة التراتبيّة السلميّة التي كانت مناسبة لحال المتلقي والموضوع الذي قيلت فيه الحجة.

2- السلالم الحجاجية بأنواعها الثلاثة كانت ماثلةً في كلامه (عليه السلام) وهو يتسلسل بحججه ليكسب قناعة متلقيه، فالسلم التصاعدي كان يمثل نوعا من مؤكدات الخطاب لذا يسعى المتكلم من خلاله الى ترسيخ حججه في ذهن متلقيه، في حين يوجّه السلم التنازلي للمتلقي الذي يملك حجج مضادة لذا فأن البدء بأقوى الحجج يحجّم عليه ذلك ويجعله مائلا للتسليم بما يسمع.

3- أحيانا تكون الحجج الملقاة غير خاضعة لمبدأ الأقوى أو الأضعف بل أن كثافتها التدليليّة جعلت كل واحدة منها مستقلةً عن الأخرى وهي الأقوى حال النطق بها.

4- التكرار والوصف والنفي، كانت أبرز الآليات التي شكّلت السلم التراكمي في كلام الإمام الحسن (عليه السلام) وساهمت بغنى هذا النوع من السلالم، فقد تجتمع جميعا في السلم الواحد أو اثنان منها ما ساعد على كثافة الحجج الملقاة على المخاطب وجعلها تنشط أكثر لتأخذ طريقها صوب إقناعه بالمطلوب.

5- ليكون السلم أكثر فاعلية وتؤدي الحجج غرضها المطلوب استعان الإمام الحسن (عليه السلام) ببعض العناصر اللغوية المقوية لكلامه التي تعد من مؤكدات الخطاب، كالاستفهام والتوكيد بدرجاته المختلفة فضلا عن حضور الشاهد القرآني والنبوي، ما عمل على ارباك الخصم ودحض حججه.

روافد البحث

- **القرآن الكريم.**
- الاحتجاج، احمد الطبرسي، تعليق وملاحظات السيد محمد باقر الخرسان، دار النعمان للطباعة والنشر، النجف الاشرف، 1966م.
- أساليب الربط وادواته في العربية بين القديم والحديث، دراسة تطبيقية، صباح د عير الغانمي، مطبعة ايلاف، بغداد، 2010م.
- أساليب المعاني في القرآن، السيد جعفر باقر الحسيني، مطبعة يوسفان كتاب، قم ايران 1432هـ، ط2.

- إستراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2004، ط1.
- أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، تنظير وتطبيق على السور المكية، د. مثنى كاظم صادق، منشورات ضفاف، لبنان، 2015م، ط1.
- أعيان الشيعة، السيد محسن الامين، تحقيق وتخريج، حسن الامين.
- الإصابة في تمييز الصحابة: ابن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل احمد عبد الموجود، وعلي محمد عوض، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ، ط1.
- الأمالي: الشيخ الطوسي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة الشيعة، دار الثقافة، قم ،1414هـ، ط1.
- أوضح المسالك الى الفية ابن مالك، جمال الدين ابن هشام، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر.
- بحار الانوار، الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار: العلامة المجلسي، تحقيق: محمد الباقر البهبودي، والسيد ابراهيم الميانجي، مؤسسة الوفاء، بيروت، 1983م، ط2.
- البعد الترابطي في القرآن، دراسة تفسيرية، د. اقبال وافي نجم، العتبة الحسينية المقدسة، العراق، 2015، ط1.
- البنية الحجاجية للحوار في رواية (دموع الامير) لنجيب الكيلاني، مقاربة تداولية، سميحة معطا الله، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، 2015.
- التراكيب اللغوية في العربية، دراسة وصفية تطبيقية، د. هادي نهر، ساعدت في طباعته الجامعة المستنصرية، بغداد، 1987م.
- التفسير الكاشف، محمد جواد مغنية، دار الانوار، بيروت، ط4.
- الحجاج الجدلي، خصائصه الفنية وتشكيلاته الاجناسية في نماذج من التراث اليوناني والعربي، عبد الله البهلول، مطبعة دار نهى ، تونس، 2013م، ط1.
- الحجاج في الحديث النبوي – دراسة تداولية– د. آمال يوسف المغامسي، الدار المتوسطية، تونس، 2016 م، ط1.
- الحجاج في الخطاب، مقاربات تطبيقيّة: د. عبد اللطيف عادل، مؤسسة آفاق للدراسات، المغرب، 2017م،ط1.
- الحجاج في الخطاب السياسي، الرسائل العباسية الاندلسية خلال القرن الهجري الخامس انموذجاً (دراسة تحليلية): د. عبد العالي قادا، دار كنوز المعرفة، عمان، 2015م،ط1.
- الحجاج في الشعر العربي بنيته واساليبه، د. سامية الدريدي، عالم الكتب الحديث، الاردن، 2011، ط2.
- الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، اشراف د. حافظ اسماعيل علبوي، عالم الكتب الحديث، الاردن، 2010م.
- حلية الأبرار في أحوال محمد وآله الأبرار (عليهم السلام)، السيد هاشم البحراني، تحقيق: الشيخ غلام رضا مولانا البروجروي، 1411هـ، ط1.
- حياة الامام الحسن بن علي (عليه السلام) دراسة وتحليل، الشيخ باقر شريف القرشي، تحقيق: مهدي باقر القرشي، دار المعروف، مؤسسة الامام الحسن (عليه السلام)، العراق– النجف الاشرف، 2013م، ط14.
- الخرائج والجرائح، قطب الدين الراوندي، تحقيق: مؤسسة الامام المهدي (عليه السلام) بإشراف السيد محمد باقر الموحد الأبطحي، مؤسسة الامام المهدي – قم المقدسة، 1409هـ، ط1.
- دور الحرف في اداء معنى الجملة، الصادق خليفة راشد، منشورات جامعة قار يونس، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 1996م.
- الذرية الطاهرة النبوية، محمد بن احمد الدولابي، ت: سعد المبارك الحسن، الدار السلفية، الكويت، 1407هـ، ط1.
- شرح احقاق الحق وإزهاق الباطل، السيد المرعشي، تعليق: السيد شهاب الدين المرعشي النجفي، تصحيح: السيد ابراهيم الميانجي، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم – ايران.

- شرح الرضي على الكافية لابن الحاجب، رضي الدين الاسترابادي، تحقيق وتصحيح وتعليق: أ.د. يوسف حسن عمر، جامعة قار يونس، ليبيا، 1975م.
- شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاءه، 1959م، ط1.
- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، د. صبحي ابراهيم الفقي، دار قباء، القاهرة، 2000م، ط1.
- العوامل الحجاجية في اللغة العربية، عز الدين الناجح، دار نهى – صفاقس، تونس، 2011م،ط1.
- الفتنة الكبرى، علي وبنوه، طه حسين، دار المعارف، مصر، 1980.
- الفصول المفيدة في الواو المزيدة، صلاح الدين العلائي، تحقيق: د. حسن موسى الشاعر، دار البشير، عمان، 1990، ط1.
- في حجاج النص الشعري، محمد عبد الباسط عبد، افريقيا الشرق، المغرب، 2013.
- كتاب الفتوح، ابن اكثم الكوفي، تحقيق: علي شيري، دار الاضواء، بيروت، 1991، ط1.
- لسان العرب، ابن منظور: تحقيق: عبد الله علي الكبير، محمد احمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة.
- اللغة والحجاج، ابو بكر العزاوي، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، 2006، ط1.
- المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر، ابن الاثير، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، 1420هـ.
- المحاسن والأضداد، الجاحظ، حققه وقدم له: فوزي عطوي، 1969.
- المحاسن والمساوئ، ابراهيم بن محمد البيهقي، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف القاهرة، 2009.
- مقاتل الطالبيين، ابو الفرج الاصبهاني، تحقيق: السيد احمد صقر، دار المعرفة، بيروت.
- مقتل الحسين، ابو المؤيد اخطب خوارزم، تحقيق: العلامة الشيخ احمد السماوي، تصحيح: دار انوار الهدى، 1418، ط1.
- مناقب آل ابي طالب، ابن شهراشوب، تصحيح وشرح ومقابلة لجنة من اساتذة النجف الاشرف، المطبعة الحيدرية، 1956.
- من بلاغة القرآن، د. احمد احمد بدوي، اشراف عام: داليا محمد ابراهيم، نهضة مصر للطباعة، 2005.
- موسوعة كلمات الامام الحسن (عليه السلام)، اعداد لجنة الحديث، معهد تحقيقات باقر العلوم، منظمة الاعلام الاسلامي، دار المعروف، ايران، 1423هـ، ط1.
- النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة، عباس حسن، دار المعارف، مصر، ط5.
- وحدة القصيدة العربية في الشعر العربي حتى نهاية العصر العباسي، حياة جاسم، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1972.

الرسائل والأطاريح

- البنية الحجاجية في قصة سيدنا موسى (عليه السلام)، احمد عرابي، رسالة ماجستير، جامعة الوسانية وهران، الجزائر، 2009.
- الحجاج في رسائل الشيخ احمد التيجاني، دراسة في وسائل الاقناع، امينة تجاني، رسالة ماجستير، جامعة حمه لخضر الوادي، الجزائر، 2015.
- الحجاج في كلام الامام الحسين (عليه السلام)، عايد جدوع حنون، اطروحة دكتوراه، جامعة البصرة، العراق، 2013.
- الحجاج في كتاب المثل السائر، ابن الأثير، نعيمة يعمران، رسالة ماجستير، جامعة مولود معمري، الجزائر، 2012م.
- الحجاج اللساني وآلياته في نص الخطبة، دراسة لنماذج مختارة، فاتن جغلاف، رسالة ماجستير، جامعة محمد خيضر سبكرة، الجزائر، 2016.
- السلالم الحجاجية في القصص القرآني، مقاربة تداولية، بوسلاح فايزة، جامعة وهران، الجزائر، 2015.

- ظاهرة تعدد الوظيفة النحوية في التركيب اللغوي (الخبر – الحال – النعت)، مها عبد الرحمن السبعي، رسالة ماجستير، جامعة الملك سعود، السعودية، 1429هـ.

البحوث

- الابعاد التداولية في خطب الامام الحسن (عليه السلام) في المدينة المنورة، د. عبد الزهرة زيون، مجلة العميد، العتبة العباسية المقدسة، العراق، م3، العدد 11، 2014.
- السلالم الحجاجية في شعر احمد الوائلي، عايد جدوع حنون، صلاح جباري شناوة العبودي، مجلة اوروك، العدد (2)، المجلد (9)، 2016.
- الطرائق الحجاجية النحوية في الخطابة السياسية، خالد اسماعيل صاحب، مجلة كلية التربية للعلوم الانسانية، جامعة ذي قار، المجلد (5)، العدد (1)، 2015.
- ملامح التأويل والاحتجاج في كلام السبط المجتبى (عليه السلام)، د. حيدر ناجي مظلوم، مجلة العميد، العتبة العباسية المقدسة، العراق، م3، ع11، 2014.